

شعب الله المختار الجديد

علي الصراف
كاتب عراقي

والفساد مكشوف، مكشوف، إلى حد بات يثير التقدير بين الملايين من البشر، حتى لكانه وباء كوليرا حقيقي. وصاحبهم معروف، معروف، معروف، إلى حد يثير العجب على وقاحته وقبح وجهه القمي. وليس في علم أحد أنه يمكن للظلم أن يستمر. فالدمار الذي لحق بالملايين من المضطهدين والجوع، لم يبق لهم خيار.

ولقد صبروا على الفقر 40 عاما في إيران، وصبروا على مشروع الكراهية الطائفية 16 عاما في العراق، كما صبروا على جمهورية "الثلاث المعطل" الإسلامية التابعة لحزب الله في لبنان 30 عاما، وما حصلوا إلا على الإحباط والفقر والفشل.

لبنان مشكلة أكبر. فهناك غطاء من التوريات يضع ميليشيات ولي الشيطان أمام محنة كبيرة، لأنها لا تستطيع أن تطلق النار، رغم أنها مدججة بالسلاح. وهناك جيش ملزم بسبب طبيعة وظيفته، ألا يكون أكثر من أداة فصل. لا هو قادر على حماية المختارين ولا هو قادر على ردع المعتدين.

المفقت في عملية الهجوم المنسقة التي قامت بها عصابات "حزب الله" و"حركة أمل"، أنها رفعت شعار "شيعية، شيعية" بينما كان المتظاهرون يرددون "ثورة، ثورة".

لم يكن في الأمر أي خطأ من أخطاء التكتيكات الفقهية البليدة، فالتحرك المشترك بين "حزب الله" والأوامر صدرت للفرقتين من مركز قيادة واحد.

أما شعار "شيعية، شيعية" فقد أراد أن يقول إن هؤلاء هم شعب الله المختار الجديد، لأنهم أعلى من أي يظلمهم تغيير، بل وأعلى من أي هوية وطنية جامعة يطالب بها اللبنانيون.

هم "شيعية" وليسوا "لبنانيين". فهاتان هويتان مختلفتان. وهم يتبعون "إماما"، ولا يتبعون دولة. وأنهم فوق "الدولة". يجربونها لحساب ولينهم وميليشياته، ولا تستطيع "الدولة" أن تجبرهم لأي غرض، ولو ركبوا على رأسها، ولو عطلوا أو أفسدوا فيها، أو أنشأوا دولة أخرى موازية لها.

إنهم شعب الله المختار الذي إذا ما قاد قادتهم الفساد، فإنه مشروع. وإذا ما أجمروا بحق المتظاهرين السلميين، فإن إجرامهم مشروع. وإذا ما حرموا الملايين من حقهم في العيش الكريم، فإنه مشروع. وإذا ما احتلوا بالحرام أرضا وسلطة، فإن احتلالهم مشروع. ولو قتلوا ودمروا وحطموا شعوبا ودولا بأسرها، فإن كل ما يفعلونه مشروع وله ما يبرره. هؤلاء هم شعب الله المختار الجديد. إنهم إسرائيل الجديدة، التي يمكنها أن تفعل ما تشاء.

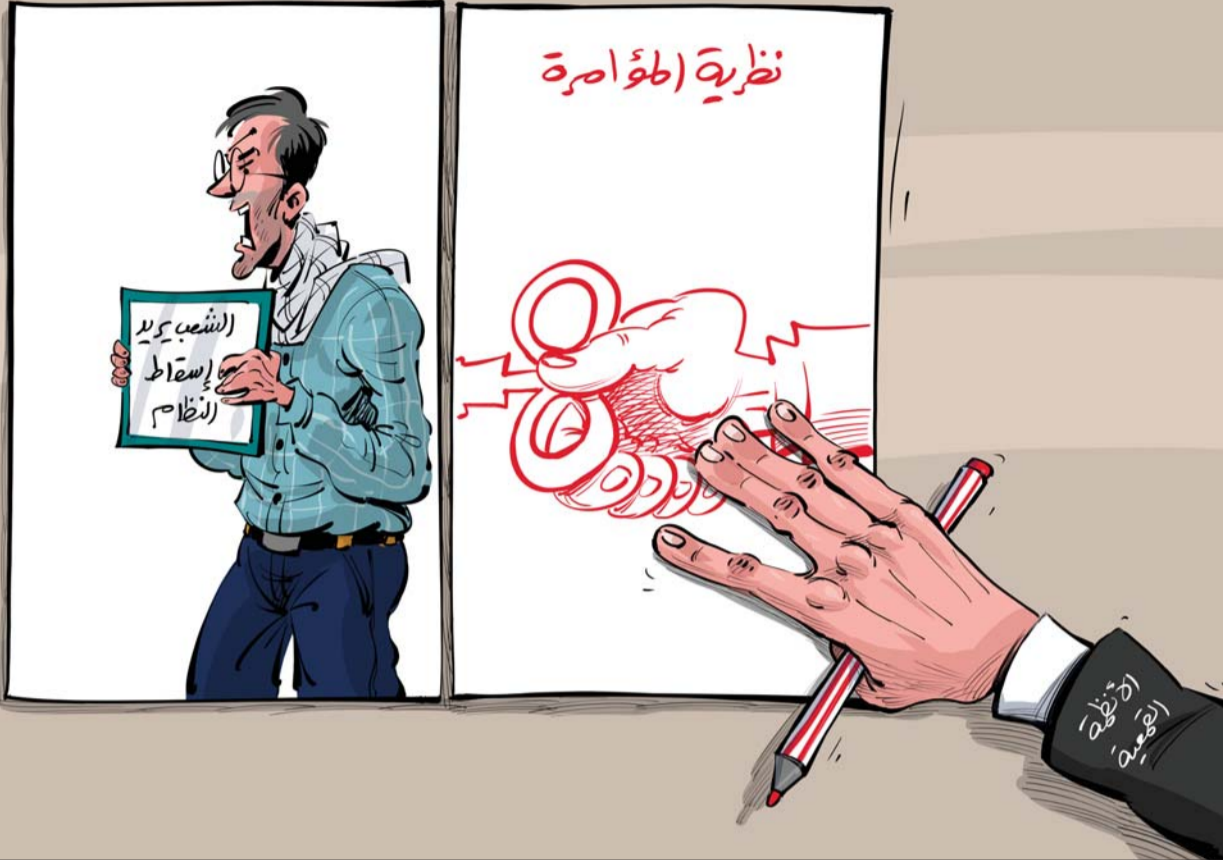
في يوم واحد، 24 من هذا الشهر، سحق الحرس الثوري الإيراني الآلاف من المتظاهرين في إيران ليزجهم في المعتقلات، ويواجهوا التعذيب والإتهامات الجاهزة والقتل. ورفعت القوات التابعة له في العراق ونيرة القتل بين المتظاهرين ليسقط تسعة منهم على الأقل فوق المئات من الجرحى الجدد. وخرجت ميليشيات حزب الله وحركة أمل لتهاجم المتظاهرين السلميين في لبنان. إنما لكي يفهم الجميع أن القرار بالسحق الجماعي قد صدر من طهران وأن التنفيذ صار واجبا على كل الميليشيات مهما كلف الثمن. وسوف تعمل تلك الميليشيات كل ما بوسعها لتقتل وتجرح وتعقل وتعذب حتى يعود الأمر لها وينكسر الحراك الذي جمع عشرات الملايين من البشر، ليعودوا فينأموا على قهر وظلم وفقر. وليبحث الولي السفينة عن بدائل سحرية لطبخة الفساد بين المسؤولين، الذين يعينهم بنفسه هنا وهناك.



إنهم شعب الله المختار الجديد وهم يتبعون «إماما» ولا يتبعون دولة. ولو قتلوا ودمروا وحطموا شعوبا ودولا بأسرها، فإن كل ما يفعلونه مشروع وله ما يبرره

يدرك ولي الشيطان والجريمة، أنه يستطيع أن يقتل ويعقل ويعذب من شاء له الهوى في إيران. فالسلطة، سلطته، والسجون سجونه، والجوع، المفروض على 60 مليون فقير، جوعه، العراق مشكلة. وهذه يملك لها العشرات من الميليشيات. إلا أنها تبدو محاصرة أكثر فأكثر. وكلما زادت في أعمال العنف ضد المتظاهرين، زاد المتظاهرون تحديا.

حكاية "المظلومية الشيعية" سقطت. وهي لا أكثر من نظرية خبيثة للفصل الطائفي بين أبناء الوطن الواحد. فالشيعية العراقيون هم الذين يتصدرون التظاهرات، ومدنهم هي التي تنتفض. وهم الذين يواجهون جرائم ميليشيات "شيعية" آخرين، سبق لها أن سحقت مدن السنة ودمرتها شر دمار وشردت الملايين من أهلها، لتقول إن سلطتها فوق الجميع، وإنها "طائفة" من طراز خاص.



مشهد آخر لموت الأيديولوجيا

أيديولوجية بالأساس، نابعة من انتصار النسق الفكري الذي يتبناه. تلك المقولة كانت مرتبطة بزمان محدد ومتفاعلة مع حدث سقوط جدار برلين وانتهاء الحرب الباردة، وانخراط الإنسانية في العولمة، وقد تغافلت عن إحدى أبرز سمات الأيديولوجيا، وهي الديناميكية، وهو ما يجعل الحكم المطلق نبوءة حاملة في أحسن الأحوال وليس واقعا حقيقيا.

التغيرات الكبرى للشعوب ينبغي أن تقود الدول للأمام والرفاه. فتورة الشعب الألماني وإسقاط سور برلين حقا توحيد ألمانيا، بل وتوحيد أوروبا شرقها وغربها، واتساع الاتحاد الأوروبي ليضم دول شرق أوروبا الفقيرة في كيان واحد مع دول أوروبا الغربية الغنية، وهذا ما كان ليحدث لولا إسقاط الألمان لجدار برلين.

تلك الثورة حدثت بسبب نهضة نسبية وتبعها عمل وجهه وعرق بعيدا عن الضجيج ودون دماء وحقق تغييرا سريعا نحو الأفضل. وقد ارتبطت بسقوط الاتحاد السوفياتي وانهار الأيديولوجيا الشيوعية. وانعكست في ارتفاع دخل الفرد في أوروبا الشرقية إلى أكثر من عشرين ضعفا وحققت نموا اقتصاديا كبيرا في أوروبا الغربية.

تلك كانت ثورة شبيهة بثورة إيران الأولى قبل أن ينقلب عليها المؤدلجون، الذين أدخلوا البلاد في ما شاهده اليوم بسبب تغول الأيديولوجيا وصراعها ولم تكن متناقضة مع سابقتها من التغيرات؛

لخامنئي في شوارع إيران وتصريح مرشد الثورة مؤخرا بأنه لا تراجع عن قرار رفع سعر البنزين، كيف سيواجه نظام بيد أمواله على أيديولوجيا وسلاح نووي لم يكتمل بعد. فالسياسة معنية بالنتائج وليس النوايا.

لقد توسع النظام خارج حدوده بدل الاهتمام بجودة الحياة وباقي مؤشرات التنمية لصالح الإيرانيين. وبدد ثروات البلاد في دول لا تقتصر على لبنان وسوريا والعراق واليمن على حساب رفاهية المواطن الإيراني.

يبقى الأمر مرهونا في الأيام القليلة القادمة من رغبة المتظاهرين بالتصعيد بعد الدعم الإعلامي الأميركي الواضح ورغبة واشنطن في حصار إيران من خلال العقوبات الاقتصادية ومدى رضوخ أوروبا والصين وروسيا لها. قسوة العقوبات ظهرت وطأتها على الاقتصاد الإيراني حيث تراجعت القدرة الشرائية لمتوسط دخل الإيراني من 600 دولار إلى 200 دولار شهريا فقط في ظل تضخم وارتفاع الأسعار.

كما أن الأمر يتعلق أيضا بالصراع على النظام العالمي الجديد وصراع الأوراسيا مقابل الأطلنطي ومدى قدرة النظام على مقاومة ثورة الجوع وإيجاد حلول سريعة بدلا من توجيه تهم العمالة والإجرام لهؤلاء المتظاهرين الشباب!

نشهد اليوم ظاهرة جديدة لموت الأيديولوجيا، ولا نقصد الإشارة إلى مقولة فوكوياما عن نهاية التاريخ الأيديولوجيا، لأنها كانت مقولة

وأصبح يريد السفر ورؤية العالم وغير ذلك الكثير مما هو ليس في متناول الشاب الإيراني اليوم، وهي مطالب ملحة لا يستطيع مقاومة إغراءاتها.

العامل الآخر، هو الوقوع في فخ البروباغندا الغربية تمتد من نشر ثقافة الحلم الغربي والديمقراطية، التي فعلت فعلها مع دول ما يعرف بالربيع العربي، إلى جانب الثقافة الاستهلاكية المسطحة التي تسوق للمنتجات الغربية.

الثورة الإيرانية الأولى في عام 1979 كانت ثورة نظيفة، لكنها اختلقت من قبل الإسلاميين وأوصلت الخميني إلى السلطة لتتحول إيران إلى دولة ثيوقراطية تقوم على نشر الفقه الشيعي الفارسي تحت شعار تصدير الثورة.

لقد أرادت إيران أن تكون مركزا للعالم الإسلامي الشيعي مثلما ترغب تركيا اليوم في أن تكون مركز الإسلام السني.

فهل سيتمكن نظام طهران من الاحتفاظ بكراسيهم في ظل ثورة شعب وصل مرحلة اللاعودة بعدما انتقلت مطالب الشارع من تحسين الوضع الاقتصادي إلى إسقاط النظام ووصلت إلى إحراق مبنى يضم قبر الخميني؟ هل سيتمكن نظام طهران من الاحتفاظ بالسلطة في ظل ثورة شعب وصل مرحلة اللاعودة وتحولت مطالبه من تحسين الوضع الاقتصادي إلى إسقاط النظام؟ وبعد سقوط القتل وسيلان الدم وتصاعد الهتافات التي تنادي بالموث

فوزي عمار
كاتب لبناني



وصول حصيلة قمع المظاهرات في إيران، التي اندلعت الأسبوع الماضي بسبب رفع الحكومة لسعر البنزين، إلى المئات من القتلى والآلاف من الجرحى يؤكد أن البلاد دخلت مرحلة اللاعودة.

هناك عاملان مهمان في اندلاع الأحداث الشبيهة بتجربة ما سمي بأحداث الربيع العربي، والتي هي استمرار لاحتجاجات سابقة بدأت في ديسمبر 2017.

العامل الأول هو أن الجيل الذي يتظاهر في إيران اليوم لا يعرف الخميني ولا الثورة الإسلامية، ولا يرى في الغرب عدوا أصلا. هو جيل يعيش البؤس والعوز، وتآثر بظاهرة العولمة وإطلاعه على ما يحدث في العالم بعد اختراق الحدود من خلال الفضائيات وتطبيقات التواصل الاجتماعي.

الاستقلال والسيادة اليوم لم يعودا بحميان حدود الدولة الجغرافية عسكريا وأمنيا. فالسيادة أصبحت مرتبطة بمدى قدرتك في التأثير على الآخرين ومدى قدرة الآخرين على التأثير فيك وعليك.

فهذا الجيل أصبحت له متطلبات ملحة لم تعد كمالية مثل اقتناء الأجهزة والهواتف الذكية الحديثة مثل آيفون وآيباد والملابس من ماركات عالمية معروفة.

ثقب الأوزون السياسي

يستوي مع ثقل الكلام البهز والوعد الضخمة التي كان يعطيها لدول الشرق الأوسط لتمكين أمنها واستقرارها، وللشعوب أيضا في دعم أهداف ثورتها بتحقيق العدالة الاجتماعية وبناء قواعد ديمقراطية فاعلة والتأسيس لحكم القانون والتداول السلمي للسلطة في بلادها.

أما الرئيس ترامب فقد لجأ إلى حسابه الشخصي على تويتر للتغريد بكلمات مقتضبة يتخذ فيها قرارات خطيرة لإدارة الأزمات العالمية، وبما لا يعكس في بعض الحالات توجهات مؤسسات الحكم في واشنطن من الكونغرس ومجلس الشيوخ ومراكز الفكر في البننتاغون والخارجية. يصيب ترامب العالم بخدمات مؤلمة تسببها لكلمات يوجهها كل صباح عبر تغريدات قصيرة، دون أي مقدمات سياسية، ودون اتخاذ أي إجراءات ضرورية مع صناعي القرار في البيت الأبيض لوضع قواعد تدعم تصريحاته وتضع آليات تنفيذها، هذا في حال كانت التفريدة تحمل استراتيجية واضحة ومحددة للقضايا الدولية أو المحلية التي يطرحها ولم تكن متناقضة مع سابقتها من التغيرات؛

المتحدة كدولة عظمى في مساعدة حلفائها على تحقيق أمنهم واستقرارهم الذي غالبا ما يؤثر على الأمن القومي الأميركي أيضا.

ينبغي أن ترتبط التحالفات التي تقيمها واشنطن مع دول الشرق الأوسط مباشرة بالأمن ودورة الاقتصاد المحلي والعالم في آن. فإذا فاز الرئيس ترامب بفترة رئاسية ثانية ستكون لديه مساحة أوسع من سنوات لن يواجه فيها الكثير من المعوقات التي تمنعه من اتخاذ قرارات حاسمة تماشيًا مع برنامجه الانتخابي، حيث لا فترة رئاسية جديدة له حسب الدستور الأميركي الذي يقتصر فيه حكم الرئيس على دورتين متتاليتين لا غير.

أما هو المطلوب من الإدارة الأميركية للتعامل مع هذا الواقع الشرق أوسطي الجديد في المستقبل القريب؟

من ناقل القول إن الخطابات البلاغية الرفيعة، التي اعتمدها أوباما خلال ثمانتي سنوات، لم تغن يوما من جوع؛ فهو لم ينفذ منها إلا القليل الذي لا

الأميركية، في فترتها القادمة التي ستمتد حتى العام 2024. معنية برقع الثقب الذي أوجده إيران في أوزون العلاقات السياسية بين الولايات المتحدة ودول الشرق الأوسط.

فالحذبات المتعاقبة التي عانت منها شعوب وحكومات المنطقة كانت بسبب غياب استراتيجية أميركية واضحة ومتصلة، يضاف إليها التنصل في بعض الحالات من المسؤولية التاريخية التي تقع على عاتق الولايات

تتبع داعش. وأشارت الوثائق إلى أن الملكي كان الشخصية المضلة عند حكم إيران. ومن اللافت ما نشرته الصحفية العراقية علي اجتماعات الأميركيين مع المسؤولين العراقيين، وأن معلومات دقيقة وحساسة عن اللقاءات الثنائية كانت تنقل بتفاصيلها إلى طهران.

الانتفاضات الشعبية والشبابية العارمة التي تحتل الشوارع في أغلب مدن العراق ولبنان، بدأت مطلوبة ومعيشية، وما لبثت أن تفككت عن الجمر الكامن تحت الرماد والمرض الحقيقي، الذي يعاني منه العراق ولبنان، تماما كما سوريا واليمن، من الاحتلالات الإيرانية التي طالت الحياة العامة ومراكز القرار السياسي وقوى الأمن والشرطة، إلى أن انتفض الشعب المتعب مجددا العهد لحريته واستقلاله وهويته العربية التي يحاول المتطرفون في بيت الحكم بإيران استلابها منهم.

وفي مناخ الاحتقان السياسي وغياب المصداقية التي خلفها النخر الإيراني في منظومة العلاقات الاستراتيجية بين العالم العربي وواشنطن، والتي يعود تاريخها إلى ما يقارب القرن من الزمن، فإن الإدارة

المتشددة والعنيفة، التي بدأت تنبت كالفطر السام في أرض العراق، وقد أدى ذلك اليوم إلى انتفاضة شعبية ضد النفوذ الفارسي "الشيعي" ورفض لتكتمه من مفاصل القرار في الحكومات المتعاقبة.

وما الفضائح السياسية التي نشرتها نيويورك تايمز مؤخرا لارتباطات رئيسي الوزراء العراقيين السابقين حيدر العبادي ونوري المالكي، إلا دليل موثق على تغول الطائفية السياسية التي ابتلي بها العراق منذ العام 2003، متخذة من المذهب الشيعي قناعا لمطامعها، والشيعية العرب منها براء.

وتكشفت الوثائق الاستخباراتية الإيرانية المسربة حجم وتشعب مساحات المخطط الإيراني لبيسط نفوذ حكم المالكي في طهران على دول المحيط، وهي وثائق أعدها ورسم خطوطها ضباط من وزارة الاستخبارات والأمن الوطني الإيراني خلال العامين 2104 و2015.

وأظهرت كيف تعول إيران على وزراء في الحكومات العراقية المتعاقبة لتحقيق مخططاتها التوسعية. ونقل الرئيس الأسبق أوباما كيف رأى في سياسات نوري المالكي القمعية ضد السنة العراقيين سببا رئيسا وراء ظهور

مرح البقاعي
كاتبة سورية أميركية

لم ترث إدارة الرئيس دونالد ترامب من السلف باراك أوباما سياسة منهجية رصينة في الشرق الأوسط، ولم يكن الإنصاف من حروبه المستدامة، وأخرها من سوريا، فكرة ابتكرتها الإدارة الحالية، بل كانت نبتة البذرة التي زرعتها الإدارة الديمقراطية السابقة حين انسحب الجيش الأميركي من العراق في ليل، ضاربا بعرض الحائط التناقضات التي خلفتها سنين الحروب المختلفة الهويات هناك.

تجاهل ذلك الانسحاب حجم الفراغ السياسي الذي تركه دون اتخاذ التدابير اللازمة لمثله بما يتماشى مع أمن العراق والمنطقة، لذا سارعت إيران بأجسامها السياسية وميليشياتها المسلحة، التي تنامت خلال سنوات ما بعد سقوط صدام حسين، إلى قنص الفرصة والانتفاض على مواقع السلطة السياسية والعسكرية في آن، ودونما منازع.

لقد أودت سياسات أوباما في العراق بالمنطقة بأسرها إلى حافات الرعب، حين تركت التربة خصبة لتصاعد التيارات

